النّفُوذُ اليَهُوديُّ في إيَالةِ الجَزَائِر أَوَاخِرَ الْعَهْدِ العُثْمَانِي
(الْعَوَامِلُ وَالْمَظَاهِرُ)

د.درعـــي فاطمـــــة

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر/الجزائر

Fatima.drai@univ-mascara.dz

المُلَخَّصُ:

وجدت الأسر اليهوديَّة التجاريَّة في موانئ إيالة الجزائر الظروف التي هيَّئت لها التفوُّق على غيرها من الفئات، كما استفادت هذه الأسر من سياسة التهميش المطبَّقة من طرف الحكَّام العثمانيين في الجزائر على غيرهم، حيث استغلَّت انشغال بعض أعضاء الديوان وكبار ضبَّاط الإنكشاريَّة والدايات بالتجارة للدخول معهم في مصالح مشتركة إمَّا كوسطاء أو كوكلاء أو حتى شركاء في بعض الأحيان، هذه العلاقة سمحت للعديد منهم بتأسيس شركات حقَّقت نجاحاً كبيراً وكانت النُّواة للشبكة التجاريَّة اليهوديَّة التي احتكرت التجارة الخارجيَّة للجزائر وهيمنت عليها ووجَّهت سياستها الخارجيَّة، ولعب اليهود دور الوسيط في العلاقات الدبلوماسيَّة بين الجزائر والدول الغربيَّة، وهذا ما سنعمل على إبرازه من خلال هذا البحث بالتطرّق إلى النفوذ الذي وصل إليه اليهود في الجزائر خلال العهد العثماني، ثم التركيز على الدور الذي قام به اليهود كوسطاء بين الجزائر والدول الغربيَّة خاصة الأوربية منها بفضل النفوذ الذي حققوه.

الكلمات المفتاحية: إيالة الجزائر _ اليهود _ فرنسا _ الوساطة _ النفوذ.

مُقَدِّمة:

استقطبت مدينة الجزائر منذ مطلع القرن 18م أعداداً مهمَّة من يهود ليفورن الإيطاليَّة الذين تألّقوا في ميدان التجارة والمال[1]، وأسهم وجودهم في الجزائر في تنشيط الإقتصاد وظهر ذلك في مختلف المجالات من صناعة وتجارة وغيرها، وبذلك كان لهم تأثير بالغ في الحياة الاقتصادية[2]، ويعود النفوذ المحقّق في المجال الاقتصادي إلى قدرتهم على استغلال الظروف لصالحهم، وحتّى وضع الجزائر في هذه المرحلة أسهمت في زيادة نفوذهم لأنَّ التعاملات التجاريَّة مع أوربا كانت تتم بواسطة الأجانب واليهود خاصة الذين عملوا لمصالحهم الخاصة دون السعي لتطوير اقتصاد البلاد.

في ظل توسُّع نفوذ اليهود وسيطرتهم على التجارة الخارجيَّة، أصبح لليهود نفوذ وارتباط بأوربا من خلال العلاقات التجاريَّة مع عدد من الموانئ الأوربيَّة، كما استطاعوا احتكار التجارة الخارجيَّة بفضل المكانة التي حصلوا عليها لدى التجَّار الأوربيين حيث كانوا يستغلّون عدم وجود البنوك لمنح القروض والحصول على ضمانات بفوائد مرتفعة هذا إلى جانب الحصول على حقّ الاحتكار التجاري من الدايات، وأصبحوا بفضل استثماراتهم التجاريَّة بمثابة بنوك يقومون بالتحويل النقدي وتقديم القروض والحسابات بين الجزائر وأوربا. وقد أسهم النفوذ التجاري الكبير لليهود في تهيأة الظروف لهم داخل الجزائر للقيام بدور سياسي ودبلوماسي.

سنحاول من خلال هذا البحث الموسوم بـ:" النفوذ اليهودي في الجزائر أواخر العهد العثماني ودوره في فرض الإحتلال الفرنسي" إبراز النفوذ السياسي الكبير لليهود وتأثيرهم على السياسة الخارجيَّة للإيالة أواخر العهد العثماني وخاصة على العلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة.

التساؤلات التي نطرحها من خلال البحث هي: إلى أي مدى أثَّر النفوذ التجاري لليهود على السياسة الخارجيَّة للجزائر؟.

- كيف لعب اليهود دور الوسيط في العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وأوربا؟.
- ما نتائج تزايد النفوذ اليهودي على إيالة الجزائر؟ وما دوره في فرض الإحتلال الفرنسي؟.

اعتمدنا في ذلك على المنهج التاريخي الذي يقوم على التحليل والنقد لتقديم صورة واضحة عن النفوذ اليهودي في الجزائر خلال العهد العثماني، وتحديد عوامل تزايد هذا اليهود، ومدى تأثيرهم على العلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة لتحقيق الأطماع الإستعماريَّة التوسعيَّة وتحقيق المكاسب من خلال فرض الإحتلال الفرنسي على الجزائر.

1- النفوذ السياسي لليهود:

استطاع اليهود أن يصبحوا سادة البحر الأبيض المتوسط بعد احتكارهم للتجارة الخارجيَّة، هذا إلى جانب دورهم ونفوذهم السياسي الذي حقّقوه عن طريق الثورة وازدهار تجارتهم خاصة في عهد الدايين حسن (1791-1798) ومصطفى باشا(1798-1805) وهو ما مكّنهم من توجيه السياسة الخارجية للجزائر بفضل جهودهم في جمع المعلومات وتقديمها للدايات، فزاد ذلك من نفوذهم السياسي حتى أطلق عليهم البعض إسم ملوك الجزائر[3].

تشير بعض المصادر أنَّ الداي حسن باشا عند تولّيه الحكم سنة1791عيّن إلى جانبه بوشناق مستشاراً[4] حظي بنفوذ وسلطة، واستغل بوشناق منصبه لصالح شركته التي وضع لها أسساً متينة داخل البلاد وخارجها[5]، كما أنَّ المساعدة التي قدَّمها بوشناق لمصطفى الوزناجي أثناء محنته سنة 1792[6] وإقراضه المال ثم الدَّعم الذي قدَّمه له للحصول على العفو من الداي، هذه الخدمات جعلت مصطفى الوزناجي يرّد الجميل لبوشناق بعد تعيينه بايا لقسنطينة سنة 1795 بفتح الأبواب أمام الشركة اليهوديَّة في مقابل مضايقة الشركات الفرنسيَّة، فتمكَّنت شركة بكري بوشناق[7] من احتكار تجارة الحبوب والجلود و الصوف والشموع التي دخلت أسواق شرق الجزائر[8]، كما استطاعت توسيع نفوذها خارج الجزائر عن طريق تعيين ممثلين لمصالحها في أهم موانئ البحر الأبيض المتوسط.

كان بوشناق يتعامل مع جميع قناصل الدول الأجنبيَّة، واستطاع ممثّله سيمون أبو قية أن يرشّح شخصيَّات فرنسيَّة في لجنة الإنقاذ الوطني بفرنسا في 12جويلية 1795[9]، وكُلّف شخصيَّاً من طرف الداي ليراعي مصالح الجزائر في باريس[10].

كانت الشركة تقوم بخدمات في ميدان المخابرات، ويظهر دور بكري[11] وبوشناق في المجالين السياسي والدبلوماسي من خلال الرسالة الموجَّهة من قنصل فرنسا بتونس، دوفواز(devoise) إلى وزير خارجيَّة فرنسا تاليران في 14مارس1799جاء فيها:"إذا أرادت حكومة الإدارة أن تكظم غيظها وتعقد سلاماً مع الجزائر فهي لا تحتاج إلَّا لتدخل بكري...فإنَّ هؤلاء اليهود لهم نفوذ قوي على شؤون الإيالة بفضل ثقة الداي فيهم..."،[12] وكان للداي مصطفى حظوة كبيرة لدى بوشناق الذي كان له الفضل في تعيينه في هذا المنصب والذي حكم مكانه في فترة حكمه، كما كان لليهود دور في المفاوضات بين الجزائر والولايات المتحدة حسب ما ذكره القنصل كاتكارت أنَّ اليهودي بكري حضر جميع المفاوضات التي أجراها القنصل الأمريكي دونالدصون (donaldson)[13]، ويذكر أيضاً أنَّ باي وهران مُحَمَّد بن عثمان(1808-1813) عندما قام بثورة انفصاليَّة عن السلطة المركزيَّة وانتمى سريَّاً إلى الطريقة الدرقاويَّة وتحالف مع السلطان المغربي في عهد

الداي الحاج علي كلَّف اليهودي داوود كابيزا المقيم بوهران منذ 1792 بمهمة شراء الأسلحة والبارود من إسبانيا، وبعد فشل الثورة تمكَّن اليهودي من اللُّجوء إلى جبل طارق حاملاً معه كنوز الباي[14].

بفضل مكر بوشناق ودهائه أصدر الداي مصطفى قراراً بتاريخ 13فيفري 1800 بتعيين بوشناق رئيساً للطائفة اليهوديَّة في الجزائر وأصبح بوشناق في عهد هذا الداي الحاكم الفعلي للبلاد حيث كان يعيّن من يشاء في وظائف الحكومة، ويحدِّد قيمة الضرائب وأسعار السلع وكان يستقبل القناصل الأجانب باسم الداي كما فعل مع قنصل الدنمارك والسويد وهولندا سنة1801، كما استقبل مبعوث الباب العالي الذي كلَّفه بمهمَّة لدى الداي في 14جانفي 1804، فاضطرَّ إلى التحدُّث مع بوشناق قبل الإمتثال أمام الداي وهو ما جعل القنصل الإسباني يطلق على بوشناق اسم "نائب ملك الجزائر".

كان بوشناق يجري اتصالات مباشرة مع ممثلي الدول الأوربيَّة، وكان الوسيط في كل مرة يتفاوض فيها داي الجزائر الذي يقدّمه لمثل هذه القضايا نظراً لخبرته في شؤون العلاقات والمفاوضات.

2- عوامل تزايد النفوذ اليهودي:

تتعدَّد العوامل التي أسهمت في ازدياد النفوذ اليهودي داخل الجزائر من أهمها:

1- الاعتماد على الأسطول الجزائري من خلال الغنائم التي تسهم في زيادة مداخيل الدولة، لكن هذا الأسطول يحتاج إلى المال لتطويره للحفاظ على نشاطه والذي أسهمت بجزء منه الشركات اليهوديَّة، لكن سيتراجع نشاط الأسطول بسبب الضغوطات الممارسة من الدول الأوربيَّة ضدَّ ريَّاس البحر الذين اعتمدوا على التجَّار اليهود في استئجار السفن، هذا إلى جانب التحالف الأوربي ضدّ الأسطول الجزائري الذي أضرَّ بمصالح التجَّار الجزائريين واستفاد منه التجَّار اليهود.

2- اهتمام الحكَّام العثمانيين بجمع المال والمكاسب الشخصية دون الاهتمام بالمصلحة العامة، فلم يهتمّوا بالتنظيمات الإدارية والحرية التي تضمن مداخيل مالية للدولة[15]، كما ظلَّ الأتراك يتخوَّفون من الكراغلة، وبناءً على ذلك وضع الأتراك ثقتهم في اليهود لأنَّهم لا يخشون منهم الاستيلاء على الحكم[16].

3- تعرُّض السواحل الجزائريَّة للخطر بسبب تدخُّل الأوربيين في شؤون الإيالة وتعرُّض الجزائر لحملات أوربيَّة أثَّرت على نشاط البحريَّة الجزائريَّة.

في ظل هذه الظروف تزايد نفوذ اليهود بسبب استعانة الدايات بهم وازداد نفوذهم أكثر بعد إطِّلاعهم على المصاعب السياسيَّة والاقتصاديَّة التي يواجهها هؤلاء الدايات، فعملوا على جمع المعلومات وتقديمها للدايات ليتَّسع نفوذهم أكثر خاصةً في عهد الداين حسن باشا، ومصطفى باشا.

3- دور اليهود في السياسة الخارجيَّة للجزائر:

بعدما تولَّت شركة بكري بوشناق ما يشبه الوصاية على عرش الداي، وبسطت نفوذها على الأسواق المحليَّة وأخذت في يدها كثيراً من مهام الأمن، أو بعبارة أدقّ عدم الأمن العام، أخذ الأخطبوط اليهودي يوسِّع نطاق عمليَّاته إلى السياسة، في تلك الظروف التاريخيَّة التي عاشتها البلاد والتي شاعت فيها الرشوة والفوضى السياسيَّة والانحلال، والفلسفة الاقتصاديَّة التجاريَّة والاحتكاريَّة للسلطة العثمانيَّة القائمة على الارتجال، انتقلت الشركة بسرعة إلى احتكار التجارة الخارجيَّة بعد تحكُّمها في التجارة الداخليَّة، وبذلك أصبحت تراقب الاقتصاد المحلِّي وتتحكَّم فيه انطلاقاً من موقعها التجاري الاحتكاري، فالتحالف بين رأس المال والسياسة كان مرحلة حتميَّة لتطوُّر رأس المال التجاري والمالي اليهودي عبر شركة بكري بوشناق؛ ولذلك بدأ نفوذ هذه الأخيرة يتوسّع إلى مختلف المؤسسات السياسيَّة الحسَّاسة وبلغت إلى حد السيطرة على الدبلوماسيَّة الجزائريَّة ومراقبة علاقات الجزائر بالخارج وكذلك تحالفاتها واتفاقياتها في حوض البحر الأبيض المتوسط وحتى مع القارة الأمريكية، ووجَّهت الشركة القرار الجزائري لخدمة مصالحها محليَّاً ودوليَّاً مستغلَّة جهل الحكام ونقائصهم أحياناً[17]، وتواطئهم أحياناً أخرى وغياب الشعب المحيّد عن صنع القرار بسبب التهميش والإبعاد المقصود الذي تعرَّض له فورّطت البلاد في صراعات خارجيَّة خاسرة، ونجحت في استدراجها إلى اتفاقيَّات جمعت نشاطها العسكري البحري الذي كان مورداً اقتصاديَّاً ذو أهمية معتبرة وفوَّتت عليها أموالا ضخمة كانت في أمس الحاجة إليها وهيبة دولية وإقليمية بغضّ النظر عن الدسائس والمؤامرات التي حبكوها ضدها مع الأسبان، ومع فرنسا وحتى مع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1815، فكانت الجزائر ضحيَّة ثقة حكَّامها في كبار التجار اليهود.

كانت فرنسا تعاني ضعفا اقتصاديَّاً بسبب مشاكلها الناتجة عن الثورة الفرنسيَّة والحصار المفروض من الدول الأوربيَّة خاصة إنجلترا فلم تجد سوى الجزائر والولايات المتحدة للتخفيف من حدَّة الحصار، لكن منذ سنة 1793 دخل الأسطول الجزائري المحيط الأطلسي بتشجيع من الإنجليز، فأصبح يعترض السفن الأمريكيَّة المحمَّلة بالبضائع التي تحتاجها فرنسا بإيحاء من اليهوديين اللذان كانا يبلغان البحريةَّ الجزائريَّة للاستفادة ماليَّاً وسياسيَّاً بالمتاجرة بالغنائم أو بالوساطة في المفاوضات، وتخوَّفت فرنسا من تحرُّكات إنجلترا التي عملت على إفساد العلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة وتحقيق تقارب إنجليزي جزائري باستقطاب الداي حسن بالمعاهدات والهدايا، فلم تجد فرنسا حلَّا سوى أن تطلب من بكري بواسطة قنصلها فالبير حتى يدفع الداي حسن لعقد معاهدة مع الولايات المتحدة سنة 1795، وقد نجح اليهودي في مقابل عمولات مالية[18]، وتمَّ توقيع المعاهدة من الجانب الأمريكي العقيد هامفري (Humphrey) مقابل دفع 725 ألف دولار إسباني فدية الأسرى، مع التعهُّد

بدفع إتاوة سنويَّة قدرها 24 ألف دولار إسباني تتضاعف كلَّما ازداد النشاط التجاري الأمريكي، ولعب بكري دور الوسيط في هذه المفاوضات وكان العنصر المنشِّط لها فحضر جميع الاجتماعات التي أجراها الوفد الأمريكي مع الداي حسن[19]، وصرَّح كاتكارت أنَّه قام بحسابات تثبت أنَّ اليهود بالجزائر أخذوا من الولايات المتحدة خلال الفترة بين 1795- 1801 مبالغ ماليَّة لا تقل عن 75 ألف دولار[20].

أسهم هذا الدور السياسي الذي قام به بكري أمام الدول الأوربيَّة في تدعيم قوَّته التفاوضيَّة في الأسواق الدوليَّة وتوسيع نفوذ شركته في حوض البحر المتوسط والعالم، وبعد المعاهدة الجزائريَّة الأمريكيَّة بدأت الحكومات في العالم تتعرَّف على قوة تأثير اليهود على سلطات الإيالة، فأصبحت علاقتها مع الجزائر لا تمرّ إلَّا عبرهم الذين تحوَّلوا إلى مركز نفوذ أساسي في البلاد يتحكَّم في صنع القرارات، وقد قام اليهود بدورٍ مهمٍّ في العلاقات الجزائريَّة الإنجليزيَّة وذلك في تحقيق التقارب بينهما لمساعدة الإنجليز في الاستيلاء على مواقع فرنسا السياسية والاقتصادية، لذلك ستلجأ إنجلترا إلى توظيف اليهودي آرون كاردوزو [4] AronCardoso (رئيس الطائفة اليهوديَّة في وهران) في 1805 لإنجاز مهمة لدى باي وهران تتمثَّل في الرغبة الإنجليزيَّة في تموين حاميتها بجبل طارق.

قام بكري وبوشناق بدورٍ مهمٍّ لمساعدة إنجلترا منذ سنة 1809 انتقاماً من نابليون بونابرت أو في تسيير المفاوضات التي جمعت إنجلترا والداي لصالح البرتغال حليفة الإنجليز والتي حضرها بوشناق بجميع لقاءاتها منذ بداياتها حتى نهايتها سنة 1800، كما استغل بكري وبوشناق تناقض مصالح فرنسا وإنجلترا لخدمة مصالح شركتهما فكما تعاونا مع الإنجليز لحل النزاع القائم بينهم وبين الداي أسهما أيضاً في مواجهة التدهور في العلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة سنة 1798 رغم تناقضه مع مصالح إنجلترا التي حاولت الحفاظ على علاقتها مع الداي عندما حاول طرد القنصل الإنجليزي ثم تراجع عن قراره بطلب من بكري، وبهذا التلاعب على التناقضات بين فرنسا و إنجلترا استطاع اليهوديان ربط علاقات وطيدة مع هذه الدول والحصول على عمولات ماليَّة، وعلى امتيازات تجارية من كل طرف[21] .

خرج اليهود مستفيدين من هذه الصراعات السياسية والاقتصاديَّة والعسكريَّة، أما على مستوى العلاقات الجزائريَّة الإسبانيَّة التي كانت تتميَّز بالعداء والتوتُّر منذ سقوط الأندلس، فإنَّ وجود بوشناق سمح بعودة العلاقات بين البلدين وترضية الداي مصطفى على الإسبان سنة 1803م، حيث تمكَّن بوشناق من إقناع الداي بتوقيع الصلح معهم، وهو ما تمَّ في 27 ديسمبر 1803، لكن لم تمر سوى بضعة أشهر حيث سيقوم بوشناق بنفسه بتوتير العلاقات الجزائريَّة الإسبانيَّة بسبب مسألة شخصيَّة تخصُّه لوحده، حيث كانت لبوشناق ديون على القنصليَّة الإسبانيَّة في الجزائر، ماطل الأسبان في دفعها، فسارع إلى التنازل عنها للداي من أجل تسييسها والضغط على الإسبان لإرغامهم على التسديد وهو ما قام به الداي الذي وجَّه سفنه لاقتناص السفن

الإسبانية، فتطوَّرت القضيَّة وأخذت أبعاداً خطيرة بين البلدين أدَّى إلى مغادرة القنصل الإسباني للبلاد، وكادت الأزمة أن تتحوَّل إلى حرب عند ظهور الأسطول الإسباني في مياه مدينة الجزائر، لكن تمّ حلُّ الأزمة باتفاق الطرفين على دفع إسبانيا ثلث الديون فقط من طرف بوشناق.

إنَّ تأثير بوشناق في السياسة الخارجيَّة لم يتوقَّف عند ما ذكرناه فقط بل بلغ من القوَّة حتى أصبح يستقبل القناصل الأجانب باسم الداي كاستقباله لقنصل الدنمارك، والسويد، وهولندا سنة 1801[22]، وتسلَّم منهم الهدايا التقليديَّة التي تدفعها دولهم إلى السلطات العثمانيَّة في الجزائر.

لقد كان النفوذ السياسي لليهود وبالاً على الجزائر بلغ أقصى درجاته في عهد الدايين حسن ومصطفى الوزناجي من 1792 إلى 1805 بمنح الاحتكار لمجموعة صغيرة من اليهود لا تمثِّل سوى أقليَّة ذات سمعة سيئة، والتي أدَّت إلى انفجار الشعب وغضبه ونقمته على هذا النفوذ وكانت المعارضة حتى من داخل النظام ضد الانحراف السياسي.

4– دور اليهود في الوساطة الدبلوماسيَّة:

لقد كان لليهود دور كبير في الوساطة الدبلوماسيَّة، ويظهر ذلك واضحاً من خلال تدخلهم في العلاقات الجزائريَّة الأوربيَّة والأمريكيَّة.

من خلال دراستنا للعلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة نجد أنَّ تزايد النفوذ السياسي والتجاري لليهود خاصةً من خلال نشاط شركة بكري وبوشناق جاء في الوقت الذي بدأت تعرف فيه الشركات الفرنسيَّة عجزاً ماليَّاً وضعفاً بسبب منافسة تلك الشركة اليهوديَّة، هذا بالإضافة إلى العجز الذي عرفته فرنسا خاصة خلال فترة الثورة الفرنسيَّة، وهذا ما فرض على الحكومة الفرنسيَّة التعامل مع هذه الشركة، حيث إضطرت إلى شراء حمولة القمح من هذه الشركة بمبلغ بين 100 و120 فرنك للحمولة بعدما كانت تشتريها ب45 فرنك للحمولة نقداً، وقد تضرَّرت الحكومة الفرنسيَّة من هذه المعاملات خاصةً وأنَّ التسديد كان مؤجلا[23] ممَّا سيؤدِّي إلى ارتفاع الفوائد السنويَّة حيث لم تكد تأتي سنة 1795 حتى كانت فرنسا مدينة للشركة اليهوديَّة بمبلغ مليونين فرنك[24].

استغلَّت الشركة الظروف لفرض أسعارها المرتفعة على الحبوب، فكان للشركة اليهوديَّة دور في المضاربات الماليَّة والمناورات السياسيَّة حول المسئولين العثمانيين والفرنسيين والإنجليز في الجزائر، وفرنسا عند قيام الثورة الفرنسيَّة عرفت أزمات سياسيَّة واقتصاديَّة خاصةً بتحالف الدول الأوربية ضدَّها واستغلَّت إنجلترا مصاعب فرنسا للضغط على الداي لمنع وصول القمح إلى فرنسا لتجويع الفرنسيين والقضاء على الثورة، لكن الداي حسن رفض، فتدخَّل القنصل الإنجليزي لكنه فشل[25] في الوقت الذي استطاع فيه القنصل الفرنسي فالبير

كسب ثقة الداي وحصل منه على إذن لشحن كميَّات كبيرة من الحبوب واللحوم والجلود وبعض المواد الغذائيَّة لسكان المقاطعات الوسطى بفرنسا ولتموين الجيش وقد حاولت فرنسا الحفاظ على علاقتها مع الجزائر لضمان الحصول على الحبوب اللازمة.

بعد فشل إنجلترا في التدخُّل لدى الداي لجأ قنصلها إلى الشركة اليهوديَّة وأقنع بكري وبوشناق بتحالف الدول الأوربيَّة ضد فرنسا وحتميَّة انتصارها عليها وخطورة ذلك على مصالح الشركة، فحاول إغراءهم بفتح جبل طارق لتجارتها، لكن مع انتصارات فرنسا ضدّ الحلفاء بدأت مواقف الشركة تتقلَّب بين تأييد فرنسا وتأييد الدول الأوربيَّة وذلك حسب انتصار كل طرف[26].

عندما علمت شركة بكري بوشناق بحاجة فرنسا للقمح بعد انتصارها على أعدائها طالبة الحصول على امتياز تموين فرنسا بالقمح فنجحت في ذلك وهو ما آثار إنجلترا التي طلبت من قنصلها أن يعمل لعقد صلح بين الجزائر والبرتغال لفتح مضيق حبل طارق في وجه السفن الجزائريَّة التي تنقل الحبوب لموانئ إنجلترا في بحر المانش، وكلَّف بالعمل بتمكين قراصنة الجزائر التعرُّض للسفن الأمريكيَّة التي تنقل البضائع إلى فرنسا وكاد القنصل الإنجليزي أن ينجح في ذلك لولا مناورة القنصل الفرنسي فاليير التي أفشلت محاولة القنصل الإنجليزي ونجح فاليير بواسطة بكري في عقد معاهدة بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكيَّة سنة 1795 حيث لعب جوزيف باكري (Joseph Bacri) دوراً وسيطاً رئيسيَّاً حسَّاساً في هذه المفاوضات وكان العنصر المحرك والمنشِّط لها[27]، حيث حضر حسب الأسير كاتكارت جميع المقابلات والإجتماعات التي أجراها الوفد الأمريكي مع الداي[28]، وبذلك يمكن التأكيد على أنَّ اليهود قد نجحوا في الوساطة الدبلوماسيَّة وذلك بفضل علاقاتهم الواسعة التي سهَّلت كثيراً من مهام المفاوضين وذلك في مقابل دفع الأموال الطائلة، فأصبحوا الوسطاء الذين لا يمكن الإستغناء عنهم لعقد الصفقات أو في مختلف مراحل المفاوضات لإنجاح عقد الإتفاقيَّات وذلك ما ورد في رسالة دوفواز (Devoise) قنصل فرنسا في تونس إلى الحكومة الفرنسيَّة سنة 1799 والتي جاء فيها: "إذا أرادت حكومة الديركتوار (الإدارة) أن تكظم غيظها وتعقد سلاماً مع الجزائر فهي لا تحتاج إلَّا إلى تدخُّل باكري سريَّاً لهذه الغاية، فإنَّ هؤلاء اليهود لهم نفوذ قوي على شؤون الإيالة بفضل ثقة الداي فيهم، هو ووزراؤه الذين يملكون مصالح في مضارباتهم التجاريَّة "[29].

الأسلوب نفسه اتَّبعته إسبانيا، فبعد فشلها في عقد صلح مع الجزائر بعد إنسحابها من وهران سنة 1792 رغم الهدايا إلى الدايات، فلم تجد من وسيلة لتحقيق هدفها سوى اللُّجوء إلى بوشناق الذي قدَّم لهم المساعدة في سبيل عقد الصلح.

لقد كان لليهود دور بارز في اضطراب العلاقات بين الجزائر وإسبانيا بسبب مشكل ديون بكري على عاتق حكومة إسبانيا، حيث تدخَّل الداي مطالباً إسبانيا بضرورة تسديد الديون، وهذا ما ورد في الرسالة المؤرخة في 7 رجب 1211هـ/6 جانفي 1791م ومن بين ما جاء فيها: " لقد وصلتنا رسائلكم الوديَّة، وفهمنا مضمونها إلَّا أنَّنا كنَّا نظن أنَّ قضيَّة اليهود لن تتأخَّر إلى هذا الحد من الزمن "[30].

تكرَّرت الخلافات بين الجزائر وإسبانيا بسبب اليهود، ففي سنة 1808 استولى الإسبان على سفينة باكري كان على متنها زيادة عليه بعض اليهود وبعض وزراء الداي وتم سجنهم، ثم تم تحريرهم بعد إجتماع الداي.

إنجلترا من جهتها إعتمدت على اليهود في تحقيق مصالحها والحفاظ عليها وحتى مصالح أصدقائها كالبرتغال مثلا حيث تدخلت إنجلترا للتوقيع على معاهدة السلام بين الطرفين لكن دون جدوى بسبب رفض الداي وتهديده بإعلان الحرب على إنجلترا وهو ما أدى إلى رحيل القنصل على متن أول سفينة مقلعة[31]، وفي ظل تلك الظروف لم يبقى أمام إنجلترا سوى اللجوء إلى اليهودي باكري صاحب النفوذ القوي لدى الداي، إلا أن باكري إضطر إلى أن يركع بين يدي الداي ليحمله على العدول عن قراره[32]، فنجحت وساطة بكري، لكن البرتغاليين نقضوا المعاهدة فغضب الداي حسن وهنا لجأ الإنجليز إلى باكري بغية التدخل لتهدئته فانحنى على أقدام الداي طالبا منه العفو عن القنصل الإنجليزي فأجابه الداي لذلك[33].

تدخَّل اليهود كذلك عند إضطراب العلاقات بين الجزائر وإنجلترا سنة 1800 حيث يعود الفضل لبوشناق الذي حصل من الداي على تكريم العلم الإنجليزي الذي حصل على مكانة الشرف في الإيالة، حيث أدَّى الداي التحيَّة للسفينة التي كانت تحمل القنصل الإنجليزي فالكون (Falcon) في 1 جويلية 1800[34]، وبعد هذا الدور الذي قام به بوشناق أصبح بعد مرور سنة يمتلك شرف استقبال قناصل الدنمارك والسويد وهولندا وتسلُّم الضرائب التي كانوا يدفعونها للإيالة .

إنَّ التغيير الذي سيحدث في ميزان القوى خاصة بعد معركة الطرف الأغر (Trafalgar) في 21 أكتوبر 1805 التي رفعت مكانة إنجلترا في البحر الأبيض المتوسط سيجعل اليهود يغيّرون سياستهم تجاه الإنجليز ويعملون على مساعدتهم، ففي سنة 1805 لجأ الإنجليز إلى رئيس الطائفة اليهوديَّة بوهران آرون كاردوزو(Aron Cardoso) الذي كان ممثلاً لأعمال باي وهران في جبل طارق وإستخدموه في مهمة لإقناع الباي بتموين الحامية الإنجليزيَّة هنالك[35]، لذلك جاءت سفينة إنجليزيَّة محمّلة بالبارود لتشحن في المقابل بما تحتاجه الحامية، والتقى كاردوزو(Cardoso) الباي وأقنعه بما جاء من أجله، فبعث بايلك الغرب إلى جبل طارق 200 ثور و100 كبش[36].

قام اليهود بدور خفي في سبيل تحويل المؤسَّسات الفرنسيَّة في الشرق الجزائري للإنجليز والذي يعتبر مناورة قام بها الإنجليز للحد من النفوذ الفرنسي في المنطقة، وتحويل عنابة والباستيون إلى قاعدتين عسكريتين تدعمان مالطا وجبل طارق، وقد وجد اليهود في ذلك فرصة ذهبيَّة من خلال التقرُّب من الإنجليز، والاحتماء بنائب القنصل الإنجليزي أسكيدرو، وسيحافظ الإنجليز على سيطرتهم على الإمتيازات في الشرق الجزائري إلى غاية سنة 1824 ممَّا سيمكِّن اليهود من توسيع تجارتهم وكذا تزايد أرباحهم.

قام اليهود بدور مهم في العلاقات بين الجزائر والسويد، فبفضل وساطة اليهود إستطاع قنصل السويد شولدر براندماتياس (Matias Skolderbrand) تحقيق قائمة الطلبات الجزائريَّة في إقرار هدية السنتين وهدية سنويَّة تتمثَّل في الأسلحة في حدود 21 ألف ريال وهديَّة فورية ب200 ألف ريال بالإضافة إلى الهدايا التي لم يسدِّدها من كان قبله[37]، كما نجح ممثِّل السويد في التوصُّل إلى توقيع معاهدة في 25 ماي 1792 تمَّ التأكيد فيها على ضرورة الإلتزام بمعاهدة 1729 وذلك بفضل مساعي وجهود باكري وبعض أقرباء الداي[38]، وذلك أكيد في مقابل أموال طائلة بلغت 10 آلاف ريال.

إنَّ دور الوسيط الذي قام به اليهود خاصة بكري وبوشناق مكَّنهم من جمع أموال طائلة وبناء قصور ضخمة، كما أدرك قناصل الدول الأوربيَّة أنَّ اليهود يمثِّلون الطريق الأخضر لضمان نجاح مشاريع السلم مع إيالة الجزائر بفضل حضوتهم لدى الدايات وقدرتهم على التأثير على الشخصيَّات النافذة وذلك عن طريق شراء الذِّمم بالأموال وأسلوب المناورة، وهو ما عبَّر عنه القنصل الفرنسي جان بون سانت أندري من خلال الرسالة الموجَّهة إلى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 19 جرمينال العام الخامس (Germinal an V) أنَّه لم يتمكَّن من الحصول على ما دار من مفاوضات بين قنصل إنجلترا والداي[39]، ورغم هذا التذُّمر الذي يحس به القناصل الأوربيُّون من النفوذ المتزايد لليهود فإنَّهم كانوا يتجنَّبون الدخول في صدام معهم حفاظاً على مصالحهم، بل كانوا يقدِّمون الهدايا للتقرُّب منهم خاصةً وأنَّ اليهود لم يتورَّعوا في إلحاق الأذى بكل من يضر بمصالحهم، فنجد أنَّ القنصل كليرمبولت (Clairambault) كاد أن يقتل بعد الفتنة التي أثارها ضده اليهود، وكذا القنصل (Taibou) بسبب مؤامرة دبَّرها ضده بوشناق، وأيضاً ما وقع للقنصل ديبواتانفيل الذي تمَّ إبعاده بمؤامرة بين الإنجليز واليهود حيث يذكر في رسالة وجهها إلى وزير الخارجيَّة فيسانس: " ... إضطررت إلى مغادرة الجزائر في 19 أكتوبر بسبب قضيَّة السفينة جيو بسينو (Giosspino) ...غير أنَّ إبعادي كان بمؤامرة إنجليزيَّة يهوديَّة"[40].

تزايد دور اليهود ونفوذهم داخل الإيالة مع أواخر القرن 18م حتى غدا بكري وبوشناق لا يتركان الداي يتحدَّث مع القناصل على إنفراد، وكان هذا النفوذ عاملاً مهمَّاً في تسابق القناصل خاصة الفرنسيين والإنجليز لإستمالة اليهود لخدمة مصالحهم السياسيَّة والتجارية.

ستغلَّ اليهود الأوضاع الداخليَّة للإيالة وعلاقاتهم مع الدايات والشخصيَّات النافذة بها وكذا إطلاعهم الواسع على أحوال الدول الأوربيَّة بواسطة أعوانهم المنبثِّين في كل موانئ البحر الأبيض المتوسط وهو ما سهَّل لهم تقديم معلومات مهمة خارجيَّة وداخليَّة لحكَّام الجزائر من دايات وبايات وذلك منحهم نفوذاً واسعاً على السلطات السياسية للبلاد[41]، ونذكر منهم بوشناق الذي كان يلقَّب بملك الجزائر بسبب سيطرته ونفوذه الواسع في عهد الدايين حسن باشا ومصطفى باشا[42].

كانت السلطات العثمانيَّة على علم بما وصل إليه اليهود من نفوذ في إيالة الجزائر، لكن لم يكن بإمكانها وضع حد لتصرفاتهم نتيجة الوصاية التي فرضوها على الداي نفسه، وهو ما جعلها مضطرة إلى التزام أسلوب لا يختلف عن أسلوب باقي الدول[43] بسبب شهرة يهود الجزائر فنجد مثلاً بوشناق يستقبل في 11 جانفي 1804 مبعوث السلطان الذي كُلِّف بمهمَّة صعبة في الجزائر فقد إضطرَّ إلى الحديث مع بوشناق قبل الإمتثال أمام الداي ممَّا جعل القنصل الإسباني يطلق على هذا اليهودي لقب نائب ملك الجزائر[44].

أ- الوساطة اليهوديَّة وتأثيرها على العلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة:

عند اضطراب العلاقات بين الجزائر وفرنسا سنة 1798 بسبب الغزو الفرنسي لمصر، عمدت حكومة الجزائر إلى اعتقال الرعايا الفرنسيين وقنصل فرنسا وموظفي القنصليَّة، فعمل كل من بكري وبوشناق على إقناع الداي حسن بضرورة تحسين معاملة الرعايا الفرنسيين المعتقلين ليتم بعدها إطلاق سراحهم[45]، وكان هدف بكري وبوشناق من هذا التدخُّل هو الحفاظ على مصالحهما وضمان تسديد ديونهما والحصول على صفقات جديدة لتموين الجيش الفرنسي، وبعد تعيين الداي مصطفى دايا سنة 1798، وصل الفرمان الأول من سليم الثالث في 16 أكتوبر مصحوباً بالقفطان والسيف التقليدي، وطلب الباب العالي من الداي مصطفى إعلان الحرب ضد فرنسا بعد غزوها لمصر سنة1798، لكن الداي تردَّد بضغط من بكري وبوشناق اللذان يتخوَّفان على مصالحهما في فرنسا، لكن طلب الباب العالي مرة ثانية من الداي إعلان الحرب ضد فرنسا في 23 نوفمبر، فاستغلَّت شركة بكري وبوشناق الظروف لاشتراط تموين الجيش الفرنسي في مصر مع التعهُّد بالنقل في مقابل دفع مبلغ كبير عاجلاً، وبعد تردُّد كبير وأمام ضغط الدولة العثمانيَّة أعلن الداي مصطفى الحرب ضدّ فرنسا بسجن نائب القنصل الفرنسي موليتدو وموظفي القنصليَّة وعدد من الرعايا الفرنسيين إلَّا أنَّهم عوملوا

معاملة حسنة وأُطلق سراحهم بعد مغادرة السفير العثماني في الجزائر لكن فرنسا بعد إعلان دول المغرب الحرب ضدَّها قامت بالاستيلاء على أموال الأتراك ورعايا دول أموال شركة بكري بوشناق[46].

تردّد الداي مصطفى، بضغط من بكري وبوشناق اللذان تتعرَّض مصالحهما في فرنسا للخطر في تنفيذ الأمر الذي سيؤكّده السلطان العثماني من جديد في 6 نوفمبر، فخضع الداي مصطفى بعد الكثير من المراوغة للأمر بإعلان الحرب ضد فرنسا في 19ديسمبر لكن الداي لن يصدر هذا القرار الذي يتصل بمصير الدولة قبل أن يكتب رسالة إلى وزير خارجيَّة فرنسا تاليران يرجوه فيها أن يتلطَّف ويسبغ رعايته على شركة بكري بوشناق[47].

إعلان الحرب من طرف الجزائر يعاكس العلاقات التقليديَّة بين شركة بكري بوشناق وفرنسا، وممَّا يزيد من سخط اليهوديين على هذا القرار أنَّه جاء في وقت غير مناسب وهو الوقت الذي أسّسا فيه فرعاً جديداً للشركة في مرسيليا ويستعدَّان فيه لتوسيع علاقتهما التجاريَّة عبر البحر المتوسط، وتحت تأثير اليهود سيكتب الداي مصطفى إلى نابليون بونابرت رسالة سرّية يعتذر فيها عن إجراء الحرب التي اضّطر إلى إعلانها، ويحثّه على جمع أسطول لتدمير الأسطول العثماني[48] وقد رد بونابرت على الداي في رسالة جاء فيها:" لقد أرغمتك أسباب سياسيَّة عليا، ولكن الماضي مضى وانقضى".

كان لهذه المناورات أثرها المرجو وبدت بوادر تشير إلى أنَّ اليهود سينقذون مصالحهم المهدَّدة لأنَّ فرنسا عملت على تسوية مشاكلها مع الجزائر بإرسال"ديبواتانفيل" قنصلاً عاماً للجزائر وكلَّفته بعقد صلح منفرد مع الجزائر وقد وصل"ديبواتانفيل" إلى الجزائر في 13ماي 1800 وقدَّم أوراق اعتماده إلى الداي ثم عقد الفريقان اتفاقية لوقف الحرب تحوّلت إلى معاهدة صلح في30 سبتمبر1800، وتّم هذا الصلح رغم تهديد الإنجليز بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الجزائر إذا عقدت صلحا منفرداً، وهذا ما كانت تنتظره الشركة اليهوديَّة لاستئناف علاقتها مع فرنسا التي اعترفت بخدماتها وتقديم بعض المعلومات الدقيقة التي تمسّ جميع الشؤون السياسيَّة والاقتصاديَّة في فرنسا مباشرة أو بواسطة قناصل إسبانيا والسويد والدنمارك وهولندا الذين كانوا على علاقات مع شركة بكري و بوشناق.

اكتفت إنجلترا ببذل جهود لدى الباب العالي انتهت بإصدار السلطان أمراً جديداً بإعلان الحرب من جديد ضدّ فرنسا، وامتثل الداي وأخذ هذا الإجراء في 25 يناير 1801[49] إلَّا أنَّ الداي لم يقم في هذه المرّة باعتقال قنصل فرنسا والرعايا الفرنسيين، بل ترك لهم الوقت الكافي لجمع أمتعتهم والرحيل بعد أن استقبل قنصل فرنسا وأسرَّ له بكلمات طيبة[50].

في غضون هذه الفترة التي استمرَّت خلالها الحرب وغياب القنصل الفرنسي ديبوا تانفيل عن الجزائر، كان بوشناق يراسله ويضمِّن رسائله أدق المعلومات والتفاصيل الاقتصاديَّة والسياسيَّة، بحيث لم يكن قد فاته عندما عاد إلى الجزائر لاستئناف مهامه في نوفمبر 1801 شيء من أمور الدولة وشئون التجارة.

في 18 نوفمبر 1801 عُقدت معاهدة صلح جديدة بين الجزائر وفرنسا، وعقد الصلح يعني انتهاء أعمال العدوان، أمَّا علاقات التبادل والتعاون فهي تأتي عادة بعد فترة من الوقت يجري فيها تقييم الأضرار الماديَّة والأدبيَّة الناجمة عن الحرب، لكن اليهود الذين لا يهمّهم من هذا البلد إلَّا لكونه مصدرا للثروة والنفوذ، سوف لا يكترثون لهذه الاعتبارات لذلك بعد توقيع الاتفاقية وبتاريخ 10 ديسمبر 1801 وبعد مؤتمر لونفيل مباشرة سارعت شركة بكري بوشناق إلى عقد اتفاق مع الحكومة الفرنسيَّة بعد تدخُّل تاليران تقوم بموجبه الشركة بتموين القوَّات الفرنسيَّة المرابطة على ضفاف نهر الراين[51]، كما أصبحت الشركة المموِّن الرئيسي لقوَّات الاحتلال الفرنسيَّة في مصر التي حلَّ على رأسها "كليبر"في 23 ديسمبر 1800.

ب– مسألة الديون وتأثير النفوذ اليهودي:

بينما كانت أوربا تقف موقفاً موحَّداً في محاولة للقضاء على الثورة الفرنسيَّة بالوسائل السياسيَّة والعسكريَّة، كانت الجزائر في مقدِّمة الدول التي سارعت إلى الاعتراف بالجمهورية الفرنسيَّة، وهو ما أوضحه الداي حسن في رسالة إلى محافظ العلاقات الخارجيَّة الفرنسيَّة بيتول (pitole) بقوله :"لن نرد أي طلب للجمهورية يكون في متناولنا والمواد المعاشية والخيول الجديدة هي منتوجاتنا، فالصديق الحقيقي هو ذلك الذي يظهر عند الحاجة، فهذه هي مبادئنا ونحن على استعداد لأن نمدّكم بالحبوب والمواد المعاشيَّة من كل نوع لأنَّنا نشعر أنَّكم في الحرب العامة التي تواجهونها مع الدول الأوربيَّة، فمن المستحيل أن لا تعترضكم صعوبات في سبيل اقتناء المواد التموينية ففي مثل هذه الظروف يتحتّم علينا أن نعبّر لكم عن خالص أحاسيسنا ونعطيكم الدليل على صدق مشاعرنا"[52].

إنَّ المعاملات التجاريَّة بين فرنسا وشركة بكري بوشناق بدأت منذ عهد لويس السادس عشر(1754-1793) إلى أن أطاحت الثورة الفرنسيَّة بعرشه، لكن علاقات التعاون مع النظام الجمهوري تخرج عن النطاق التجاري المحدود وتأخذ اتجاهاً سياسيَّاً وذلك منذ تموين الشركة اليهوديَّة للحكومة الفرنسيَّة بالحبوب سنة 1793عندما كانت تعاني فرنسا من المجاعة، كما سمحت حكومة الجزائر بتصدير الحبوب بإلغاء القيود المفروضة على تصدير الحبوب وسمحت أيضاً للوكالة الإفريقيَّة بالإشراف على المؤسَّسات الفرنسيَّة في الجزائر وتصدير الحبوب إلى فرنسا، كما قامت بمنح قروض لفرنسا لشراء الحبوب، حيث قام الداي حسن سنة 1796 بإقراض فرنسا مبلغ مليون فرنك بدون فوائد، في وقت كانت فيه حكومة الثورة في أشدِّ الحاجة إلى

هذه المبادرة السياسيَّة وإلى المساعدة الماليَّة التي تضمَّنتها، وقد استخدمت السلطات الفرنسيَّة هذا القرض لشراء القمح من الجزائر[53]، كما فتحت الجزائر في نطاق السياسة الجديدة موانئها للسفن الفرنسيَّة ووفَّرت تسهيلات لمساعدة هذا البلد على فكِّ الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليه الدول الأوربية رغم محاولات الإنجليز في الخفاء لتفجير العلاقات الجزائريَّة الفرنسيَّة.

بعد كلِّ هذا الدَّعم والمساعدة التي تلقّتها الحكومة الفرنسيَّة من الجزائر وشركة بكري بوشناق إلَّا أنَّه ستظهر قضيَّة الديون بسبب تماطل الحكومة الفرنسيَّة في تسديد ها، فبعد فترة من تصدير الحبوب إلى فرنسا سنة 1793 من طرف شركة بكري بوشناق طالب هذان اليهوديَّان بواسطة ممثلهما بمرسيليا سيمون أبو قية من الحكومة الفرنسيَّة تسديد ديونها عليهما لكن دولاً كروا (Dela croix) وزير الخارجية آنذاك وقف ضدّ هذا الطلب حيث راسل وزير المالية الفرنسي قائلاً :"نرجو منكم أن تؤجّلوا تسديد ديون اليهود حتى نجبرهم على التخلّي عن دسائسهم مع الإنجليز الذين يفضّلونهم عنَّا في سواحل شمال إفريقيا"[54]، ولما تماطلت في الدفع كتب الداي حسن إلى الحكومة الفرنسيَّة في 18ماي1797 رسالةً جاء فيها:"لكن نثبت لكم كم نتمنَّى توطيد وترسيخ العلاقات القائمة بين هذه الحكومة والشعب الفرنسي منذ قرن من الزمن فإنَّنا مستعدُّون لتموينكم أثناء حروبكم بالحيوانات والمواد الضروريَّة وكل ما تنتجه بلادنا ونحاول أن نلبِّي طلبات الجمهوريَّة بكل سرعة وأمان، ونطلب منكم فقط مراعاة حسن معاملة رعايانا المقيمين عندكم خاصةً أسرة بكري وسيمون أبو قية الذي سيتولَّى تسليمكم هذه الرسالة ونحن نعتبر هذه المسألة معروفاً ونرجو منكم أن تتفضّلوا بالتسديد الفوري لديون سيمون أبو قية حتى يتمكَّن من مواصلة نشاطه".[55]

بقيت القضيَّة مجمّدة بحجَّة تموين اليهود للإنجليز بالمواد الغذائيَّة في جبل طارق وغيرها وعند نهاية سنة 1797 عبَّرت الحكومة الفرنسيَّة صراحةً عن مواقفها من التاجرين بشكل صريح: "يجب عليكم أن تعملوا من أجل إبعادهم (اليهود) عن معاملاتنا السياسيَّة منها والتجاريَّة فمن الناحية السياسيَّة فإنَّ تدخّلهم يشكِّل مهانة للجمهوريَّة، ومن الزاوية التجاريَّة فإنَّ منافستهم تضر بالمصالح التجاريَّة لمواطنيها"[56]. وفي هذا الوقت قام بكري وبوشناق بمناورة بارعة لتدعيم نفوذهما في فرنسا عندما نجحا في التأثير على بعض الشخصيَّات السياسيَّة، وفي الوقت الذي وثّق فيه يعقوب بكري علاقته بتاليران وزير الخارجيَّة الفرنسي الذي سيخلف دولا كروا في 16 أفريل1797 [57]، نجح هذا الأخير فعلاً في إقناع زملائه الوزراء بتحسين رأيهم في نزاهة العمليَّات التي كانت تقوم بها الشركة اليهوديَّة، وبالتالي في شرعيَّة ديونها التي كان مشكوكاً فيها فظهرت فجأة مصانة.

بينما كانت فرنسا مدينة للشركة اليهوديَّة، كانت الشركة اليهوديَّة مدينة للحكومة الجزائرية بمبلغ 300 ألف فرنك فكان على الشركة أن تستغل الظَّرف للحصول على تسديد ديونها وذلك بجعل هذه الديون ديون من

الحكومة الجزائرية على الحكومة الفرنسية، وكانت الشركة قد أقنعت الداي أنَّ الخزينة لن تحصل على هذا المبلغ إلَّا إذا قامت الحكومة الفرنسيَّة بتسديد ديونها، فإنَّ من مصلحة الداي أن يتدخَّل لدى الحكومة الفرنسيَّة للحصول على تسديد ديونه، وبذلك جرَّت الشركة اليهوديَّة الحكومة الجزائريَّة إلى قضيَّة ديونها على فرنسا.

في 17سبتمبر 1798 كتب الداي مصطفى إلى تاليران يطلب منه أن تدفع فرنسا الدين الذي عليها إلى رعاياه اليهوديين فتحوَّلت قضيَّة ديون اليهوديين إلى مسألة حكوميَّة، كما أخذ وزير الخارجيَّة الفرنسي تاليران يدافع عن شركة بكري بوشناق، وأوصى وزير المالية أنَّه لا ينبغي له أن يعتبر هذه القضيَّة مسألة شخصيَّة بل أنَّها مشكلة بين دولتين، كما طلب تاليران من بوشناق أن يكتب الداي رسالة إلى بونابرت يقول له فيها أنَّ المبالغ التي يطالب بها بكري وبوشناق هي له ويرجو تسهيل الدفع[58]، ومن أجل ذلك قرَّرت حكومة باريس إرضاء اليهود حفاظاً على علاقتها مع الجزائر وحتى تضمن تموين الجيش الفرنسي في مصر وذلك بتسديد الديون فقدَّم ممثِّل شركة بكري بوشناق في باريس سيمون أبو قية سندات الديون التي تقدَّر قيمتها ب 7.942.992 فرنك ثم اتَّخذت إجراءات لتسديد مبلغ مسبق بقيمة 3.725.631 فرنك لكن توتَّرت العلاقات مرَّة أخرى بين البلدين[59] بسبب الحملة الفرنسيَّة على مصر، فقرَّرت الحكومة الفرنسيَّة وقف عمليَّات تسديد الديون رغم مواصلة شركة بكري بوشناق قيامها بتموين القوات الفرنسيَّة في مصر وإيطاليا رغم إلقاء فرنسا القبض على سيمون أبوقية باعتباره من رعايا الجزائر، وبعد إطلاق سراحه، واصلت الشركة تموين الجيش الفرنسي بعد توقيع اتفاقيات سنة 1800 لتضمن فرنسا قيام الشركة اليهوديَّة بتموين الجيش الفرنسي على ضفاف نهر الراين، وبعد الانفراج أبرمت الجزائر وفرنسا معاهدة سنة 1801 نصَّت على ضرورة دفع فرنسا لديونها لليهود[60]، لكن فرنسا ماطلت كثيراً وأدَّى ذلك إلى تدخُّل الداي مصطفى الذي كان يجهل أمر المفاوضات التجاريَّة في باريس، وكان يعتقد أنَّ حلّ المسألة سيكون لصالحه[61]، لكن في الواقع كانت هناك مخادعة وقعت مع الشركة اليهوديَّة إمعاناً منها في تعقيد القضيَّة حيث جعلت بكري وبوشناق يرفضان تسديد مبلغ 300 ألف فرنك المستحق للداي، بل إنَّهما طلبا إليه التدخُّل من جديد للحصول على تسديد المتبقِّي من ديونهما إذا أراد هو الحصول على تسديد ديونه[62]، لكن حماس الداي للنظام الجمهوري قد أخذ يخفّ لتحلّ محلّه خيبة أمل بعد توقيع نابليون معاهدة صداقة مع البابا في 15جويلية1801 وازدادت خيبة الأمل بظهور تعقيدات في موضوع تسديد ديون الشركة اليهوديَّة عندما أعلن الفرنسيون جلاءهم عن مصر في 2 ديسمبر فازدادت حيرة الداي وقلقه فهذا الحدث يضاف له معاهدة بطليوس(Badijoz) التي جلت إنجلترا بموجبها عن البرتغال.

مفاوضات السلام التي بدأت مع الدولة العثمانيَّة في لندن في9 أكتوبر1801 والتي كان لها وقع كبير في نفس الداي ولكنّها لم تمنعه من مواصلة علاقاته الدبلوماسيَّة النشيطة مع فرنسا[63]، بل إنَّ هذا الوقت هو بالذات الذي اختاره الداي للقيام بمبادرة قد تبدو غريبة إذا نسينا أنَّ شركة بكري بوشناق هي التي كانت تدير خيوط المبادرات الدقيقة في العلاقات مع فرنسا وذلك وفق تخطيط وحساب دقيق فإنَّ الداي سحب الامتياز الذي مُنِح للمنشآت الفرنسيَّة للعمل على شواطئ الجزائر الشرقيَّة، ومُنِح هذا الامتياز لمؤسسات إنجليزيَّة بناءً على تفاهم خاص تمَّ بين ماكدونالد قنصل إنجلترا وبكري وبوشناق اللذان أقنعا الداي باللُّجوء إلى هذا الإجراء للضغط على فرنسا في مسألة الديون وهو ما فسَّره نابليون أنَّه تحوُّل في سياسة الجزائر التقليديَّة وانحرافها إلى صف إنجلترا،[64] ممَّا أثار غضبه ودفعه إلى وضع مشروعه المشهور لغزو الجزائر، ذلك المشروع الذي دخل في المرحلة الأولى من التنفيذ بتوجيه بعثة لجمع المعلومات عن الجزائر، وهو ما سيكون له أثره على الداي الذي سيقابله بكثير من الخنوع والتذلُّل، وفي 17أكتوبر قرَّر الداي إعادة الامتيازات المذكورة إلى الشركة الفرنسيَّة.

بالعودة إلى الوراء، إلى العلاقات التي توثَّقت بين شركة بكري بوشناق وتاليران وزير الخارجيَّة الفرنسي الذي نجح في إقناع باقي الوزراء بتحسين رأيهم في نزاهة العمليَّات التي كانت تقوم بها الشركة اليهوديَّة وبذلك شرعيَّة ديونها ومن جهة أخرى، وكما ذكرنا سابقاً فإنَّ شركة بكري بوشناق رأت أنَّ فرص الحصول على تسديد ديونها وما ترتَّب عليها من فوائد ستكون أفضل لو تمكَّنت من جعلها ديوناً من الحكومة الجزائرية على الحكومة الفرنسيَّة، وباعتبار أنَّ الشركة كانت مدينة للداي بمبلغ 300 ألف فرنك فرأت استغلال هذا الظرف لإبلاغ الداي أنَّ الخزينة لن تحصل على هذا المبلغ إلَّا إذا قامت الحكومة الفرنسيَّة بتسديد ديونها وبالتالي فإنَّه من مصلحة الداي أن يتدخَّل بصورة مباشرة لهذه الغاية، وبذلك يكون الداي قد خطى الخطوة الأولى نحو الفخّ الذي نُصب له سنة 1798 دون أن يعلم أن مساعدته في صالح المضاربين اليهود ستطيح بعرشه وستجلب على الجزائر ويلات الاستعمار وكذلك كتب إلى تاليران ليطلب إليه"مكافأة الدار اليهوديَّة بتسديد ديونها على فرنسا"، وبعد ذلك قرَّرت الحكومة الفرنسيَّة تسديد الديون المترتِّبة عليها للمحافظة على علاقات سلميَّة مع الجزائر ولا سيما بعد أن منح الداي ممثِّل الشركة التجاري في باريس لقب ممثِّل الداي والمكلَّف بأعماله[65]، وقد صادف أن كان سيمون أبو قية الذي حصل على شرف هذا التعيين أنَّه أيضاً يتمتَّع بشرف آخر في أرض الوطن، وهو أنَّه كان شقيق محظية الداي المفضّلة[66].

بعدما قرَّرت الحكومة الفرنسيَة تسديد هذه الديون التي بلغت 2.297.445 فرنك على أقساط مقدارها 150ألف فرنك شهريَّاً جاءت حوادث الحرب التي أشرنا إليها مع فرنسا وقرَّرت الحكومة الفرنسيَّة وقف عمليات التسديد، فازداد حجم الديون خصوصاً نتيجة لاتفاق الحكومة الفرنسيَّة مع الشركة اليهوديَّة لمدِّها بكميَّات كبيرة من الحبوب لتموين الحملة العسكرية التي كان نابليون يقوم بإعدادها وتجهيزها إلى مصر، وقد

استمرَّت الشركة في تنفيذ هذا الاتفاق في بداية الحرب، رغم إيداع ممثِّل الداي سيمون أبو قية السجن فارتفع حجم الديون نتيجة الاتفاق الذي أشرنا إليه سابقاً لتموين الجيش الفرنسي على ضفاف نهر الراين فارتفعت قيمة الديون سنة 1800، وبلغت ثمانية ملايين فرنك فتدخّل تاليران مرة أخرى لصالح شركة بكري بوشناق وطلب من وزير الماليَّة اعتبار ديون الشركة ديوناً رسمية تهم الدولتين.

نتيجة لهذه التطوُّرات حصلت الشركة على تسديد أولي بمبلغ الديون بقيمة 3.175.631 فرنك لكن خبث اليهود وسوء نوايا الشركة جعلتها ترفض تسديد مبلغ 300 ألف فرنك المستحق للداي، بل إنَّهما طلبا إليه التدخُّل من جديد للحصول على تسديد المتبقِّي من ديونهما إذا أراد هو الحصول على تسديد دينه، فكتب رسالة في 13 أوت 1802 إلى نابليون يطلب فيها دفع الديون المستحقَّة من 1793-1798 من الحكومة الفرنسيَّة إلى شركة بكري بوشناق[67] فأعطى نابليون الأوامر إلى الخزينة التي قامت بتسديد مبلغ آخر من الرصيد المتبقِّي من ديون الشركة، ومقداره 1.200.000 فرنك، وبذلك استطاع اليهود استخلاص حوالي نصف ديونهم.

في غضون هذه الأحداث ظلَّت ديون بكري وبوشناق على الحكومة الفرنسيَّة مجمّدة، ولم يحدث أي شيء بشأن دفع هذه الديون[68]، وذلك لأنّه بعد المساعي التي قام بها الداي مصطفى سنة 1803 لدى السلطات الفرنسيَّة لتسوية هذا الموضوع ولغاية 1813 تعتبر هذه الفترة فترة جمود وتعفُّن بالنسبة لهذه المسألة[69]، فقد ظهرت عدَّة عوامل خلال هذه الفترة تخص الجانبين، فالجزائر لم تعد مصدراً لتصدير الحبوب لفرنسا بسبب موجة الجفاف التي اجتاحت البلاد سنة 1800 والتي بلغت ذروتها سنة[70]1805، فمعاملات التاجرين مع فرنسا ارتكزت أساساً على تجارة الحبوب، وانعكست هذه الوضعيَّة سلباً على شركة بكري بفرنسا حيث دخل أعضاؤها في نزاعات ضدّ بعضهم البعض أمام المحاكم الفرنسيَّة خاصة بين يعقوب بكري، وابن أخته ميشال بوشناق أخ نفطالي بوشناق الذي اغتيل في جوان 1805.

أثَّرت هذه الحادثة على مصالح الشركة في فرنسا التي عرفت تراجعاً، والوضع العام في فرنسا نحو اليهود لم يكن مشجِّعا لتطوير معاملات هؤلاء التجَّار فالشكوك حولهم لم تختفِ رغم الخدمات التي قدَّموها لفرنسا، فتشبَّثت فرنسا بفكرة اعتبار النشاط التجاري لهؤلاء بمثابة رهينة وورقة ضغط في يدها أضرَّ بنشاط اليهود كثيراً، فالإدارة الفرنسيَّة كانت تبادر باتخاذ عدد من الإجراءات لتضييق الخناق على هذا النشاط لمجرَّد أي توتّر في العلاقات بين البلدين وظهر ذلك سنة 1806 عندما طلبت الجزائر رفع الإتاوة على الالتزام الإفريقي فطلب القنصل الفرنسي " ديبوا تانفيل" من حكومته وضع اليدّ على ممتلكات الرعايا الجزائريين في فرنسا[1] ومنعتهم الحكومة من الخروج من فرنسا ووضعتهم تحت رقابة ثم وسَّعت العمليَّة لتشمل الرعايا الجزائريين في المدن خارج فرنسا ثم رفعت هذه الإجراءات عند عودة العلاقات بعد فشل مشروع احتلال الجزائر لسنة 1808.

نظراً لإجراءات الحصار القارّي التي أثَّرت على الجزائر بسبب فرض فرنسا رقابة على ممتلكات رعايا الجزائر في فرنسا في 24 أكتوبر 1810 وهو ما أضرَّ سلبيًّاً بمصالح اليهود الجزائريين التجارية في إيطاليا وفرنسا، واستمرَّت الرقابة لغاية أوت1811 عندها رفعت وعادت الجزائر للمطالبة بتسديد الديون، قامت فرنسا باعتقال أسرتي بكري وبوشناق في كلٍّ من فرنسا والقورنة (إيطاليا) وتخوّفاً من تبنِّي الجزائر الأسلوب نفسه طلب القنصل الفرنسي إطلاق سراحهم والاكتفاء بمراقبتهم، ونظراً لتماطل السلطات الفرنسيَّة في تسديد الديون طلب وكيل الحرج من القنصل دفع ثلث الدين المستحَّق لبكري والذي قُدِّر بمبلغ ثلاثة ملايين فرنك في الحين، وعند تماطل القنصل ديبوا تانفيل قرَّرت السلطات الجزائريَّة حجز المبالغ الموجودة في القنصليَّة واستكمال ما تبقَّى من ثلث الدين المطلوب تسديده عن طريق رسائل التحويل باسم القنصل لحساب بكري فردَّت فرنسا على ذلك بحجز ممتلكات بكري في فرنسا وإيطاليا، كما قامت بمساعي لدى الباب العالي من أجل الوساطة والتدخُّل لدى الجزائر لإعادة المبالغ المحتجزة في القنصليَّة لكن الباب العالي لم يتَّخذ أي موقف تجاه المسألة.

إنَّ عودة الحكومة لإثارة مسألة الديون يعود أساساً إلى التذُّمر من سياسة الحصار القارّي وعودة الاستقرار السياسي في السلطة بتولِّي الداي علي الحكم سنة 1808 وعودة بكري للاستقرار بالجزائر سنة 1809 بعد إقامته في إيطاليا وفرنسا وعودة رئاسة الطائفة اليهوديَّة إلى أسرته بتعيين داوود بن يوسف بكري على رأس الطائفة سنة 1806 ثم إلى يعقوب الذي سيبقى فيه لغاية 1830[71] وحصلوا على الإعفاء من الضريبة المفروضة عليهم[72].

كل هذه العوامل أسهمت في عودة مسألة الديون للظهور من جديد مساهمة في اضِّطراب العلاقات بين البلدين، ورغم موقف الجزائر فإنَّ المسألة بقيت معلَّقة وبدون حلّ، فالأموال التي تمَّ حجزها في القنصليَّة والتي اختلفت التقديرات حول مبلغها مابين ثلاثمائة وسبعين ألف فرنك إلى مليوني فرنك لم تكن كافية لم يستلم بكري منها سوى مبلغاً ضئيلاً في شكل تعويض عن شحنة كانت السلطات الفرنسيَّة قد صادرتها في ميناء القورنة، ولم يكن بوسع الإدارة الجزائريَّة عمل شيء آخر أكثر من الذي قامت به، كما أنَّ أوضاع فرنسا في هذه المرحلة لم تكن جيّدة بعد فشل حملتها ضد روسيا سنة 1812 وانهزامها في معركة ليبيزيق في أكتوبر1813. كلُّ المؤشِّرات تبيِّن قرب نهاية عهد نابليون، بونابرت وفي ظل هذه الأوضاع لم يكن ممكناً تسوية مسألة الديون.

رحَّبت الحكومة الجزائريَّة بعودة آل بوربون إلى حكم فرنسا بعد سقوط نابليون واستقبل مبعوث الملك لويس الثامن عشر(1755-1824) بكل حفاوة وتكريم الذي دعا إلى بدء صفحة جديدة في علاقات البلدين مؤكِّداً عزم بلاده على تصفية النِّزاعات، وبعد مدَّة طلبت الحكومة الجزائريَّة إبعاد القنصل ديبوا تانفيل وترحيله من خلال رسالة وجَّهت إلى السلطات الفرنسيَّة مبيِّنة أسباب ذلك، ويعتبر ديبوا تانفيل أنَّ السبب الذي أبعد

من أجله عن البلاد[73] هو أنَّه طلب منه دفع مبالغ من المال لتعويض شحنات كان القراصنة الفرنسيُّون قد استولوا عليها ولما رفض هذا الطلب متذرّعاً بكونه لا يستطيع دفع أي تعويض دون إذن حكومته رحل عن البلاد، إلَّا أنَّه استغلَّ عودة بونابرت إلى الحكم في فترة حكم "المئة يوم" ليحصل على إعادة تعيينه كقنصل للجزائر، لكن الجزائر رفضت السماح له بالنزول إلَّا بعد تسوية جميع النِّزاعات الماليَّة المعلَّقة، وفي مقدِّمتها تسديد ديون بكري وبوشناق، وهو ما اضطرَّه إلى العودة فبقيت مسألة الديون معلَّقة كما كانت في بدايتها، ولم تتقدَّم خطوة في اتجاه التسوية طيلة حكم نابليون بونابرت.

خاتمة:

ظهر النفوذ السياسي والدبلوماسي لليهود في الجزائر مستفيداً من الأوضاع الداخليَّة والدوليَّة، وتمكَّنوا من لعب أدوار مهمة في علاقات الجزائر مع الدول الغربيَّة تمكَّنوا من خلاله من توسيع مصالحهم وحمايتهم، وبرز التدخُّل اليهودي في سياسة الجزائر الخارجيَّة لدرجة تناسي الولاء للباب العالي وحتى دخلوا في مراسلات فيها نوع من الخيانة عند احتلال فرنسا لمصر سنة 1798، فجشع الدايات وجبنهم ثم خيانتهم كشفت لفرنسا ضعف الحكَّام الجزائريين في أواخر العهد العثماني، فكيف يمكنهم التخوُّف من حكومة سلَّمت مقاليدها السياسيَّة والاقتصاديَّة لشركة يهودية؟ واستطاعت جمع الأموال طائلة لحسابها من خلال عدَّة عمليَّات تجاريَّة تزايد معها في المقابل حجم الديون المترتِّبة على فرنسا، مستغلِّين جشع الدايات وجهلهم ليتَّخذوا منهم أدوات طيّعة لتنفيذ مناوراتهم السياسيَّة والتجاريَّة في وقت تماطلوا فيه عن دفع ديون لا تتجاوز قيمتها 300 ألف فرنك لخزينة الداي، وقد وقع الداي تحت سيطرة اليهود بسبب مصالحه المتشابكة بمصالحهم في الداخل والخارج لدرجة استصعب عليه فصل هذا الدين عن المسائل الأخرى، ضف إلى ذلك جهله بحقيقة وضع الشركة في فرنسا، بقدر جهله لإجراءات التسوية المعقَّدة لديونه ولم يسجِّل نفسه دائناً للشركة وهو ما زاد الأمر صعوبة في ظل تآمر فرنسا مع اليهود على الداي.

الهوامش والتعليقات:

(1) مُحَمَّد أمين، "يهود ليفورن بالجزائر في أواخر العهد العثماني" العثمانيون والعالم المتوسطي" ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2003، ص301.

(2) مُحَمَّد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، 1985.ص85.

3 – Rozet, M,P, voyage dans la régence d'Alger ou discription du pays occupé par l'Armée

Français en Afrique, Abertand ,1833, Paris, p 226.

(4) جاءت عائلة بوشناق من ليفورن، بعد إقامتها مدّة في مدينة ماهون خلال سنة 1722، رحلت إلى مدينة الجزائر سنة 1723، كانت معدمة لا تملك قوت يوم، فبادر رئيسها للعمل عند بعض التجّار اليهود، وبعد استقرار العائلة في الجزائر اتسع نطاق عملياتها التجارية تدريجياً وازدادت ثروتها وارتفع مستوى علاقاتها الاجتماعية، حيث ارتبط بها الباي مصطفى الوزناجي باي التيطري (1775–1795) واستطاعت هذه العائلة الارتباط مع الدايات قبل هذه الفترة، وكانت لها ارتباطات تجارية على أعلى مستوى قبل معاهدة أوترخت، وبعد استقرارها وسّعت علاقاتها الداخليَّة وارتبطت بالباي مصطفى الوزناجي الذي فقد حظوته لدى الداي حسن سنة 1792م فهرب لينجو بحياته، واختفى في مكان سرّي، بعدما تخلّى عنه أنصاره، وأصدقاؤه لكنّ بوشناق ظلّ وفيا للباي في محنته وأخذ يحمل إليه الزاد، بل ويتدخّل لدى الداي حسن لطلب العفو عنه، ولما صدر العفو عنه قدّم له بوشناق مبلغًا كبيراً من المال دون ضمان ليساعده على إصلاح أحواله حيث كان في حالة سيئة من الفقر، وعندما عيّن بايا لقسنطينة سنة 1794، سارع إلى الاعتراف بجميل اليهودي فقرّبه منه وعيّنه وكيلاً . على أعماله ومستشارا له، ينظر:

Esquer, Le Commencement d'une empire, 1830, Ed La rose, paris,1929, p19.

5 - Esquer,G, Le Commencement d'une empire, Op. Cit.p19.

6 - Masson, Histoire des établissements de commerce française dans l'Afrique barbaresque 1560 -1793, Hachette, Paris ,1930. P57.

(7) يؤكّد مُحَمَّد أمين أنَّ تاريخ تأسيس الشركة هو سنة 1798 معتمداً على معطيات من الأرشيف القنصلي عن نشاط مشترك بين بكري وبوشناق في هذه الجمهورية. بدأت هذه الشركة تنشط بقوة المال والدهاء السياسي الذي كان يتميَّز به بوشناق، فكانت هذه الشركة تستورد الخردوات، الأقمشة القطنية والحريرية، والقهوة والسكر، التوابل، الرخام، العطريات والكماليات كما كانت تصدّر مختلف المنتجات الزراعية والحرفية بالجزائر من قمح وصوف وحبوب، وشموع، وجلود وكان التصدير يشكّل جل نشاط الشركة لانخفاض الرسوم المفروضة على الصادرات المقدرة بـ2.5% مقابل 10إلى 12% على الواردات، ومن جهة أخرى فسيطرة الحياة الريفية على المجتمع الجزائري جعلت إقباله على الواردات الأوربية محدوداً في ضروريات معيّنة نظراً لتباين أنماط الاستهلاك وانخفاض المستوى المعيشي، وقد كان نشاط الشركة متنوّعاً بين إيطاليا وفرنسا، وإسبانيا ممَّا يدّل على توسُّع نشاط الشركة بفضل تعاون العائلتين، كما كانت الشركة تمتلك عدداً من السفن لنقل القمح وغيره من السلع التي تتاجر فيها، وهذا ما يبيّن تقدُّم الشركة لدرجة اهتمامها بالنقل وذلك في الوقت الذي عرف فيه نشاط الناقلين الفرنسيين تراجعاً في ظلّ أوضاع الحروب النابوليونية وتزايد نشاط القرصنة الأوربية ضد المصالح الفرنسية، للمزيد ينظر: مُحَمَّد، أمين، "يهود ليفورن بالجزائر في أواخر العهد العثماني" العثمانيون والعالم المتوسطي"، المرجع السابق، ص 316.

[8] - Masson , Histoire des établissements de commerce française dans l'Afrique barbaresque 1560 -1793, Op. Cit.p57.

(9) حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة 1815- 1830، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2007، ص54.

[10] - Plantet,E, correspondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579-1833,T2 (1700-1833),Paris,1930, p 453.

(11) هو من عائلة يهودية ليفورنية هاجرت من إيطاليا إلى الجزائر في بداية القرن 18م، حيث استقرَّ أحد أفراد هذه الأسرة بالجزائر العاصمة سنة 1716 قادماً من ليفورن لإنشاء فرع Michel Cohen Bakri وهو ابن زاهون ميشال كوهين بكري لشركته، ثم التحقت به عائلته فيما بعد ونجحت تجارته وتوسّعت ثروته، فأصبح في فترة وجيزة تاجراً قوّياً ينافس بقية يهود المدينة وتحوّل من صاحب محل صغير من بين المحلات اليهودية المنتشرة بباب عزون إلى رأسمالي كبير صاحب شركة أسّسها مع أبنائه الخمسة وهم يوسف ومردخاي أو مردوشي، يعقوب،سليمان وإبراهيم، وكان تاريخ تأسيس الشركة هو 14نوفمبر 1782تحت اسم شركة "سالمون كوهين بكري وإخوانه" (Salamon Cohen BACRI et ses Frères) ويعدّ يوسف الذي برز منذ 1774 أبرز وأذكى الأبناء، سيتولى في المستقبل رئاسة الطائفة اليهودية في الجزائر، اقتصر نشاط العائلة قبل 1789 على المبادلات بين الجزائر وليفورن أمّا مرسيليا التي كانت أهم ميناء متوسطي فرنسي يكاد يحتكر أهم المبادلات مع الجزائر، فلم يكن مسموحاً للتجّار المسلمين واليهود من لعب دور مهم في تجارتها، لكن خلال الثورة الفرنسية، وبفضل الإجراءات التي شجَّعت حرية التجارة، وحاربت الاحتكار وسرعان ما فتح الباب لنشاط التجّار بما فيهم اليهود والمسلمين، وقد شجّعت هذه الإجراءات عائلة بكري لمحاولة اختراق السوق المرسيلية، وسّعت الشركة نشاطها إلى موانئ متوسطية أخرى، لكن هذا التوسّع لم يكن يعني توقّف ارتباطها التقليدي بموطنها الأصلي، فقد ضلّت تستقطب أنشطة عائلة بكري حتى سنة 1830، ينظر: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤولاء المجهولون، شركة الأمة للطباعة والنشر، ط2، الجزائر، 2004، ص233.

[12]- Esquer, Le Commencement d'une empire, Op. Cit.p21.

(13) كاتكارت، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في الغرب، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص181.

(14) شالير، مذكرات وليام شالير قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1982، ص180.

(15) ناصر الدين، سعيد وني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 231.

(16) حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: مُحَمَّد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر ، 1982.ص155.

[17] - Esquer, Le Commencement d'une empire , Op. Cit.p .21.

(18) كاتكارت، ، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في الغرب، المصدر السابق، ص181.

(19) كاتكارت، ، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في الغرب، المصدر السابق، ص ص182- 183.

(20) شالير مذكرات وليام شالير قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824، المصدر السابق، ص146.

(21) Aron Cardoso هو المكلّف بأعمال الباي في جبل طارق، سجل في 16أكتوبر 1805دخول فرقاطة إنجليزية بقيادة القبطان رومان roman محمّلة بالبارود ولما كان الباي غائبا في إحدى الغزوات للقضاء على القبائل المتمرّدة، لحق به كاردوسو إلى معسكره، ونجح فيما ذهب من أجله، فتّم شحن في 5ديسمبر200 ثور و 100كبش .

(22) فوزي، سعد الله، يهود الجزائر هؤولاء المجهولون، المرجع السابق، ص264.

23- Esquer Le Commencement d'une empire 1830, Op. Cit.p . 22.

24- Esquer Le Commencement d'une empire 1830, Op. Cit.p23.

25-De Grammont,H-D, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Le Roux, Paris,1887 , p348.

26- De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830). Op. Cit.p 351.

(27) فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص262.

(28) كاتكارت مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في الغرب، المصدر السابق، ص181.

29- Esquer Le Commencement d'une empire 1830, Op. Cit.p21.

(30) بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780- 1798، الجزائر، 1993، ص202.

31- Grammont Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Op. Cit. p. 354.

(32) إسماعيل العربي:« دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات »،مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد 12، السنة ديسمبر 1974، ص 52.

(33) عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، ص28.

(34) مُحَمَّد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،ص168.

(35) كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر، بيت الحكمة ، الجزائر، 2008، ص132.

(36) بليل رحمونة: العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع موانئ مرسيليا وليفورن (1710-1830)، مذكرة ماجستيرغير منشورة، قسم التاريخ، وهران، الجزائر،2002-2003 ، ص 167.

(37) بديرة المازري،" الجزائر والسويد: تجارة عالمية وصراعات دولية 1729- 1830حسب مصادر سويدية"، المجلة التونسية، العدد 101، 1990، ص ص 56- 57.

(38) بديرة المازري،" الجزائر والسويد: تجارة عالمية وصراعات دولية 1729- 1830حسب مصادر سويدية"، المرجع السابق، ص 58.

39-(Archives Etrangers Correspondances consulaires) AE/CC, VOL 33 Alger 1796-1797.

[40]-(Archives Etrangers Correspondances consulaires) AE/CC, VOL 42 Alger 1815-1816.

([41]) مُحَمَّددادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني ،المرجع السابق، ص169.

([42]) مُحَمَّد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،ص169.

([43]) مُحَمَّد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 170.

[44]- Bloch: I, Inscriptions tumulaires des anciens cimetières Israélites d'Alger, J Durlacher ,Paris,1888, p96.

[45] - I, bloch, Inscriptions tumulaires des anciens cimetières Israélites d'Alger, Op. Cit. p. 90.

[46] - De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Op. Cit. p356.

[47] إسماعيل، العربي« دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات »،المرجع السابق، ص54.

48- Plantet, correspondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579-1833, Op. Cit. p494 .

[49] إسماعيل، العربي، « دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات »، المرجع السابق، ص 35 .

[50] - Plantet correspondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579-1833, Op. Cit. p. 492.

[51] - Esquer, Le Commencement d'une empire 1830, Op. Cit.p. 26.

[52] - Plantet , correspondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579-1833, Op. Cit. p. 443 .

[53] إسماعيل، العربي، « دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات »، المرجع السابق، ص 56.

[54] - E, le Marchand, l'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, p. 33.

[55] - Plantet, Plantet , correspondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579- 1833, Op. Cit.p 463.

([56]) حنيفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة 1815–1830، دار الهدى، الجزائر، 2007. ص 50.

[57]– مُحَمَّد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،ص115.

[58]– مُحَمَّد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق، 1969،ص 149.

[59] - Le Marchand, l'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Op. Cit.p 54.

[60] - M.A, Nettement, histoire de la conquête d'Alger , Op. Cit.p .125.

(61) محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق،ص 197 .

(62) محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ، المرجع السابق،ص 149.

(63) إسماعيل، العربي،« دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات » ، المرجع السابق، ص 57.

[64] - Plantet, orrespondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579- 1833, Op. Cit.p. 509.

[65] - Garrot, histoire générale de l'Algérie, Alger , Impr. P. Crescenzo, Alger ,1910, p601.

[66] - Garrot, histoire générale de l'Algérie, , Op. Cit. p601.

[67]- Nettement, histoire de la conquête d'Alger, nouvelle édition Librairie la coffre, 1867, p125.

[68] - Nettement, histoire de la conquête d'Alger , , Op. Cit. p. 125.

(69) جمال، قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2005، ص 291.

[70] - N, Saidouni, l'Algérie rural â la fin de l'époque ottomane (1791- 1830), p p. 263- 277.

(71) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700– 1830، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007،ص 45.

[72] - Eisenbeth , « Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque1516-1830 », Revue Africaine, (,N°96) ,1952,p 117.

(73) رزقي، شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره (1800–1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الإسكندرية، 1988، ص 110.

[73] - Le Marchand, l'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Op. Cit.p 54.

[73] - M.A, Nettement, histoire de la conquête d'Alger , Op. Cit.p .125.

(73) محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق،ص 197 .

(73) محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ، المرجع السابق،ص 149.

(73) إسماعيل، العربي،« دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات » ، المرجع السابق، ص 57.

[73] - Plantet, orrespondance des deys d'Alger avec le cour de France 1579- 1833, Op. Cit.p. 509.

[73] - Garrot, histoire générale de l'Algérie, Alger , Impr. P. Crescenzo, Alger ,1910, p601.

[73] - Garrot, histoire générale de l'Algérie, , Op. Cit. p601.

[73]- Nettement, histoire de la conquête d'Alger, nouvelle édition Librairie la coffre, 1867, p125.

[73] - Nettement, histoire de la conquête d'Alger , , Op. Cit. p. 125

(73) جمال، قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2005، ص 291.

[73] - N, Saidouni, l'Algérie rural â la fin de l'époque ottomane (1791- 1830), p p. 263- 277.

(71) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700– 1830، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

[73] - Eisenbeth , « Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque1516-1830 », Revue Africaine, (,N°96) ,1952,p 117.

(73) رزقي، شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره (1800–1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الإسكندرية، 1988، ص 110.